كتب الفراشة - حكايات محبوبة



طَربوشُ العَرُوس

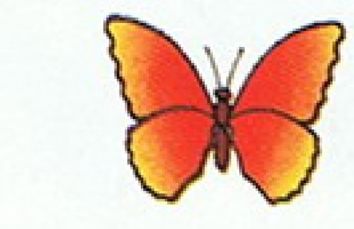
هٰذِهِ «حِكاياتٌ مَحْبوبَةٌ» رائِعَةٌ يُحِبُّها أَبْناؤُنا ويَتَعَلَّقونَ بِها. فالصِّغارُ مِنْهُمْ يَتَشوَّقونَ إلى سَماعِ والِديهِمْ يَرْوونَها لَهُمْ؛ والقادِرونَ مِنْهُمْ عَلى القِراءَةِ يُقْبِلونَ عَلَيْها بِلَهْفَةٍ وشَوْقٍ، فَيَتَمَرَّسونَ بِالقِراءَةِ ويَسْتَمْتِعونَ بِالحِكايَةِ. وهُمْ جَميعًا يَسْعَدونَ بِالتَّمَتُّعِ بِالرُّسومِ المُلَوَّنَةِ البَديعَةِ الَّتي تُساعِدُ عَلى إثارَةِ الخَيالِ وتَكْمِلَةِ الجَوِّ القَصَصِيِّ.

وقَدْ وُجِّهَتْ عِنايَةٌ قُصْوى إلى الأَداءِ اللُّغَوِيِّ السَّليمِ والواضِحِ. وطُبِعَتِ النُّصوصُ بِأَحْرُفٍ كَبيرَةٍ مُريحَةٍ تُساعِدُ أَبْناءَنا عَلى القِراءَةِ الصَّحيحَةِ.

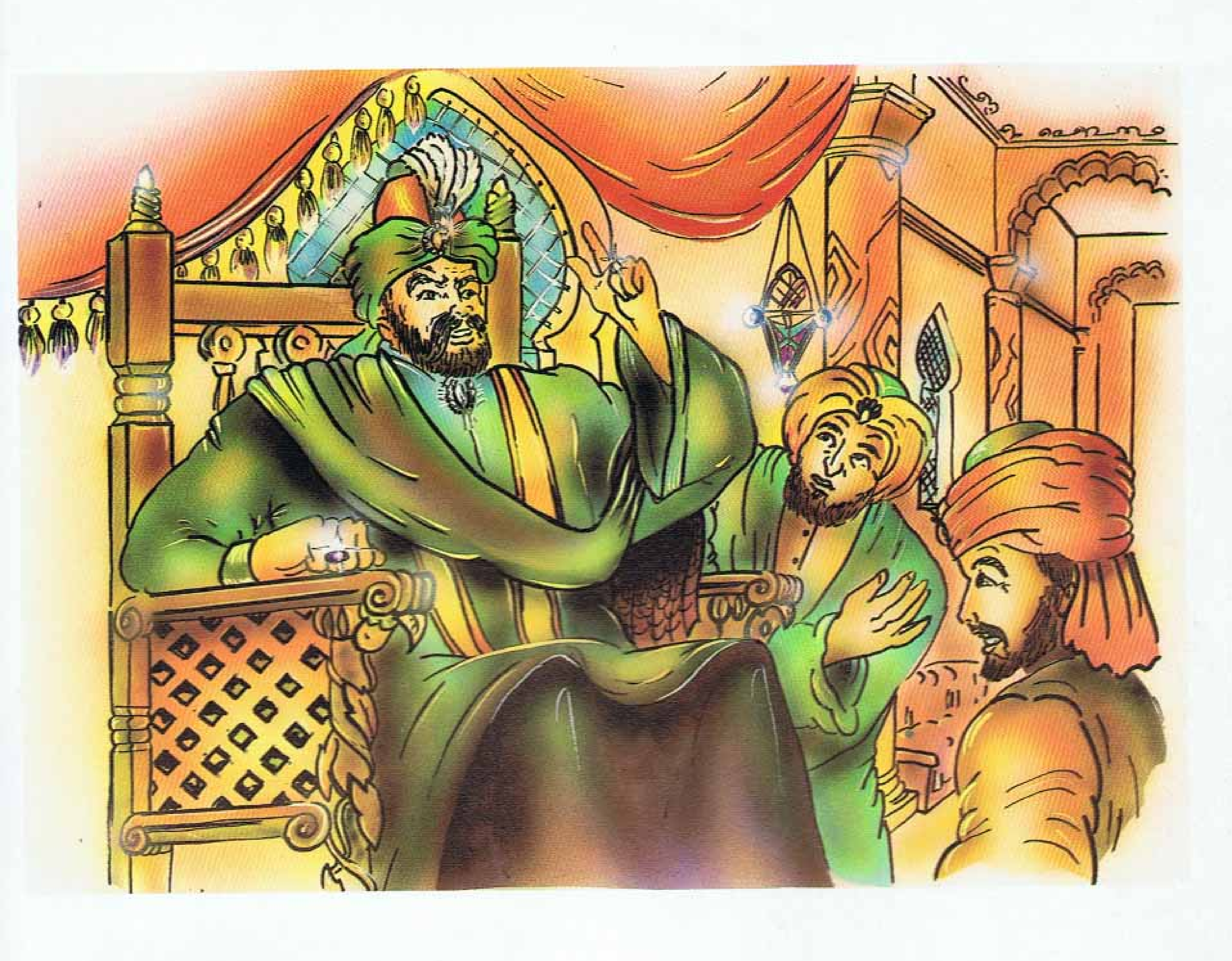
كتب الفراشة - حكايات محبوبة

طَرْبوشُ العَروسِ

الدّكتور ألبير مُطْلَق



مكتبة لبنان

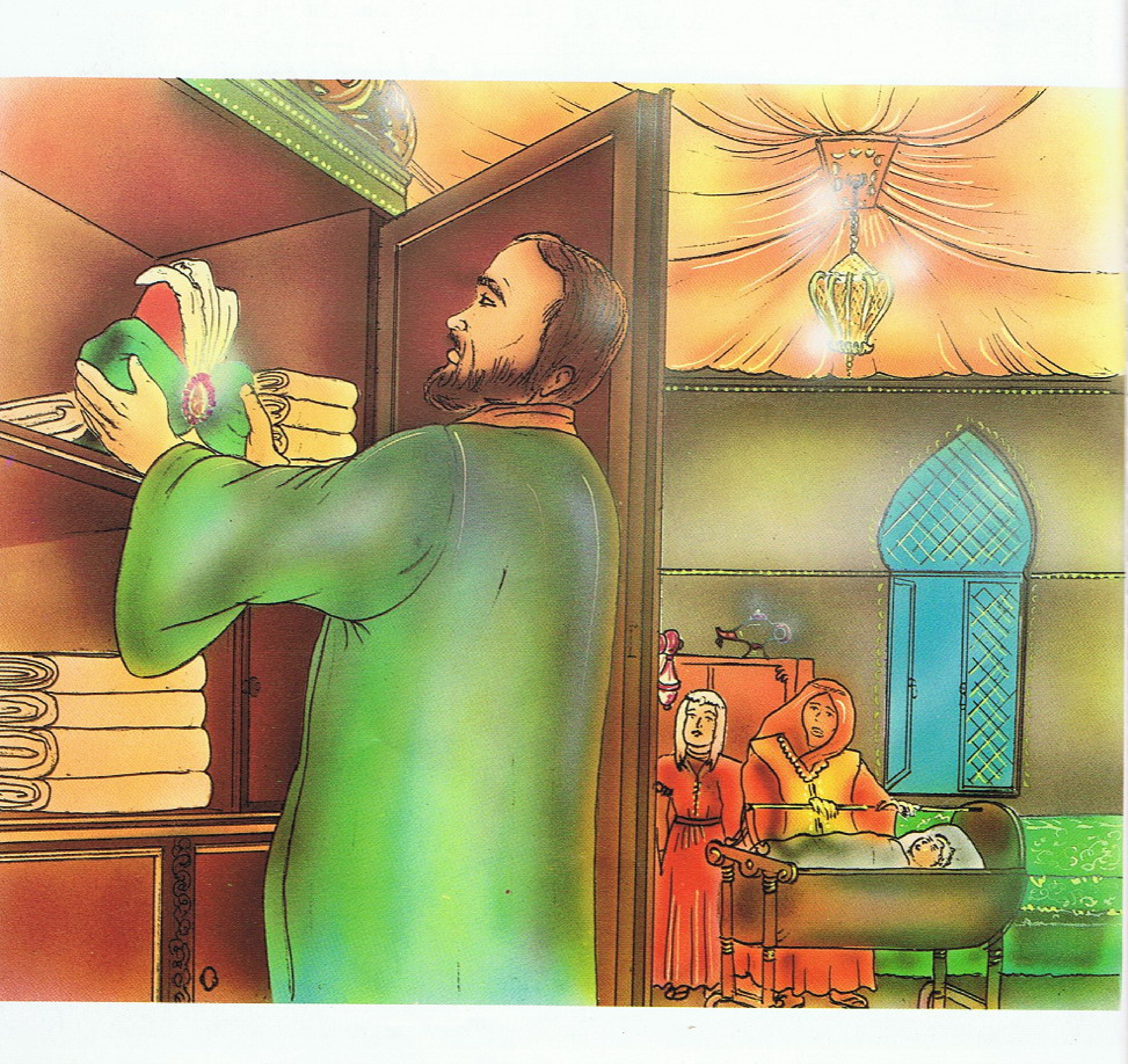


يُحْكى أَنَّهُ كانَ يَعيشُ في قَديمِ الزَّمانِ والٍ شُجاعٌ ذو هَيْبَةٍ وَسُلْطانٍ اسْمُهُ نَصْرُ الدّينِ. وَكَثيرًا ما كانَ النّاسُ يَتَحَدَّثونَ عَنْ شَجاعَةِ نَصْرِ الدّينِ وَيَزْعُمونَ أَنَّهُ يُرْعِبُ الْأَبْطالَ بِشارِبَيْهِ وَيَصْرَعُ الْوُحوشَ الْكاسِرَةَ بِيَدَيْهِ.

وَكانَ نَصْرُ الدّينِ إذا سُئِلَ عَنْ سِرِّ شَجاعَتِهِ وَقُوَّتِهِ، اعْتَدَلَ في جِلْسَتِهِ وَنَفَخَ صَدْرَهُ وَأَمالَ طَرْبوشَهُ فَوْقَ جَبْهَتِهِ، وَقالَ في وَقارٍ: «السِّرُّ في الطَّرْبوشِ!»

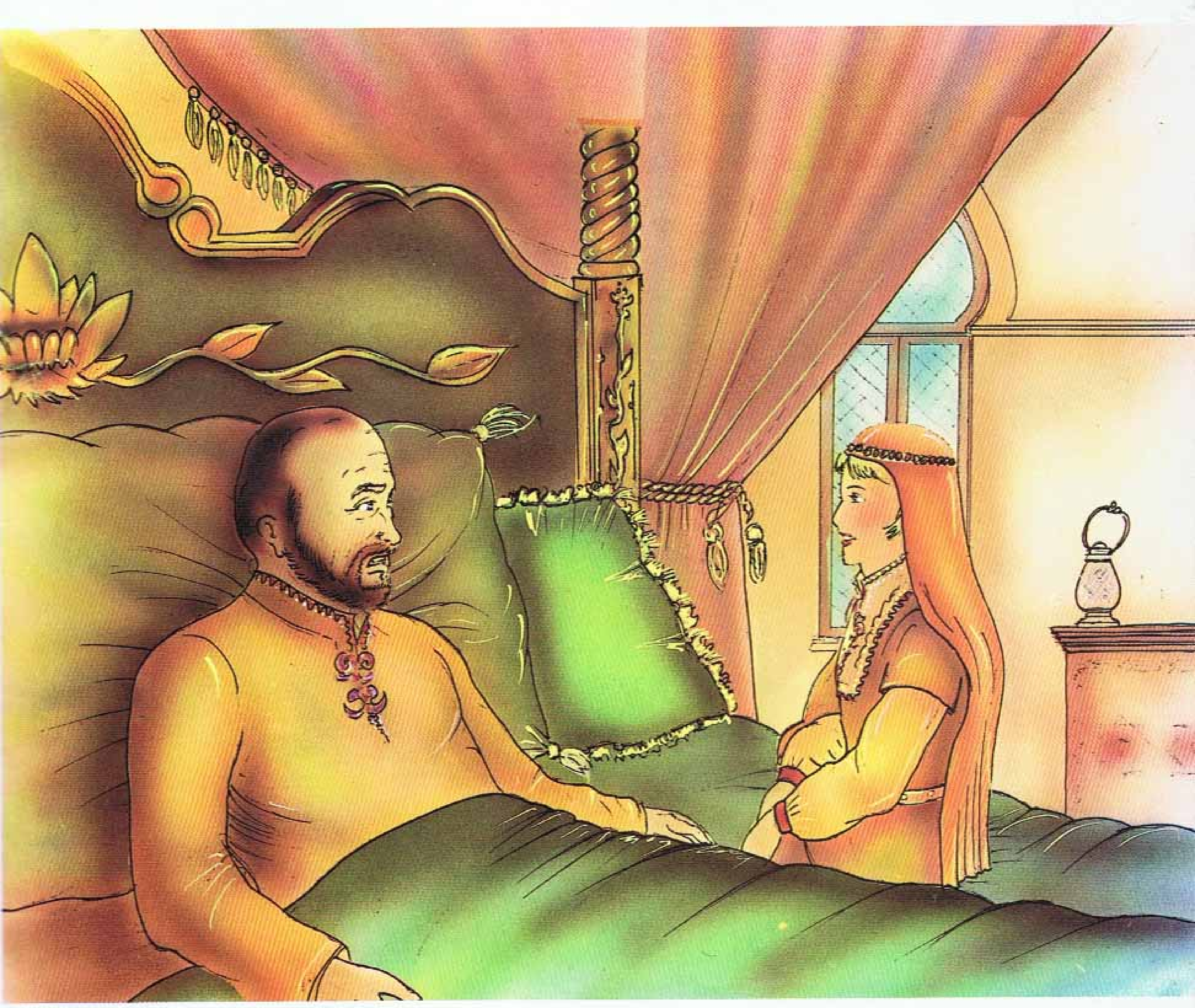
لٰكِنَّ نصرَ الدّينِ لَمْ يَكُنْ والِيًا سَعيدًا . فَقَدْ رَزَقَهُ اللهُ تِسْعَ بَناتٍ ، وَلَمْ يَرْزُقْهُ ذَكَرًا واحِدًا . وَعِنْدَما وُلِدَتِ ابْنَتُهُ التّاسِعَةُ الَّتي أَسْماها خِتام خَلَعَ نَصْرُ الدّينِ طَرْبوشَهُ وَوَضَعَهُ في الْخِزانَةِ وَقالَ :

«لَنْ أَضَعَ هٰذا الطَّرْبوشَ عَلى رَأْسي بَعْدَ الْيَوْمِ إِلّا إِذا رُزِقْتُ صَبِيًّا يَرِثُهُ مِنْ بَعْدي !»



ظَلَّ طَرْبوشُ نَصْرِ الدّينِ في الْخِزانَةِ سَنَواتٍ. وَكانَ نَصْرُ الدّينِ قَدْ شاخَ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ في الْقَصْرِ إلّا ابْنَتُهُ خِتام، فَقَدْ تَزَوَّجَتْ بَناتُهُ الْأُخْرَياتُ وَتَرَكْنَ بَيْتَ أَبيهِنَّ. وَكانَتْ خِتام آنَذاكَ في الثّالِثَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِها. وَكانَتْ تُحِبُّ أَباها حُبًّا شَديدًا، وَتَسْهَرُ على راحَتِهِ وَالْعِنايَةِ بِهِ.

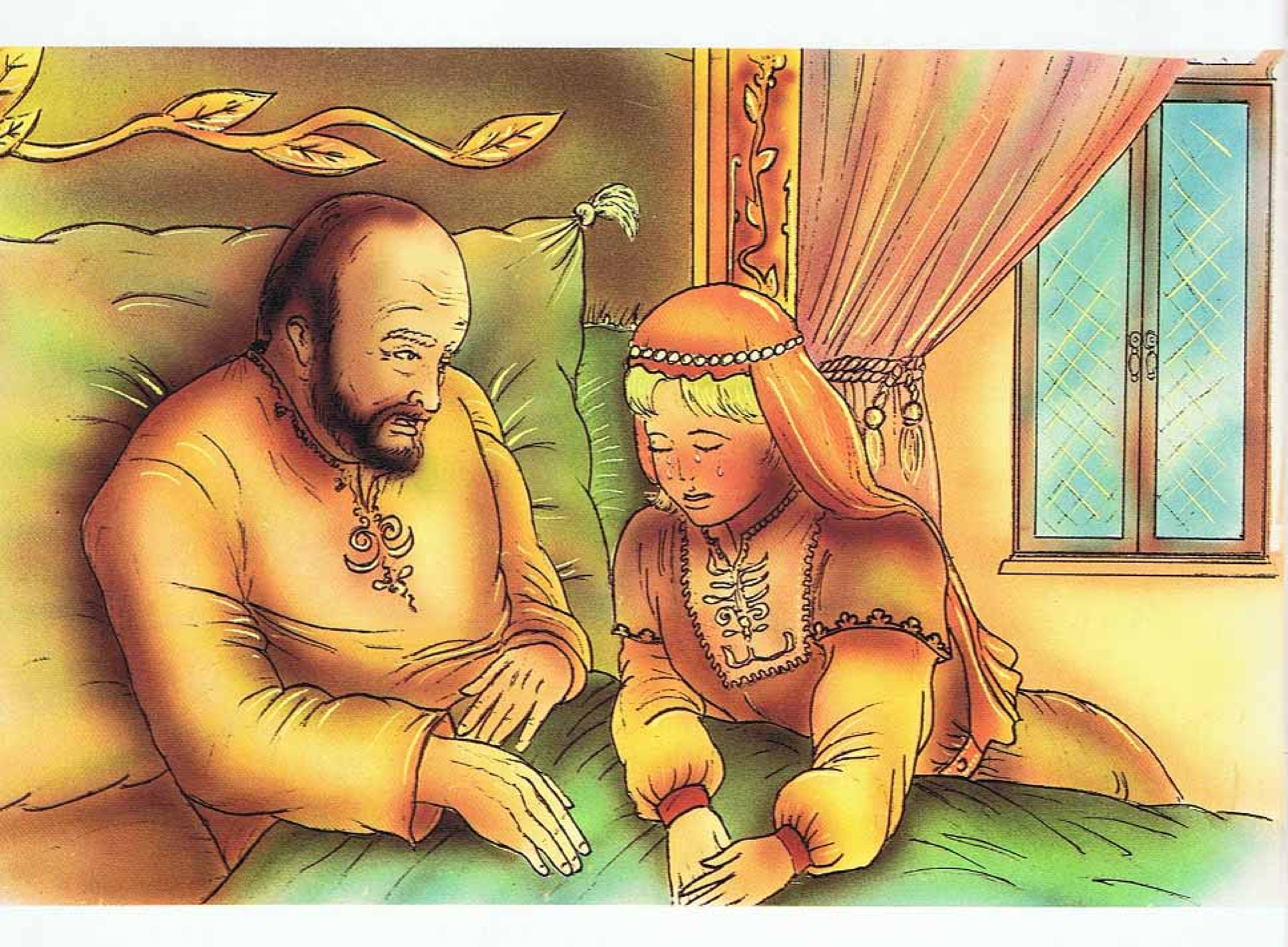
في أَحَدِ الْأَيّامِ قالَ نَصْرُ الدّينِ لِابْنَتِهِ: «يا ابْنَتي، أَنا الْآنَ شَيْخٌ عليلٌ. أُوْصيكِ حينَ أَموتُ أَنْ يُدْفَنَ طَرْبوشي مَعي!»



اِمْتَلأَتْ عَيْنا خِتام بِالدُّموعِ . ثُمَّ قالَتْ : «يا أَبي ، كُنْتَ تَتَمَنّى دائِمًا أَنْ تُرْزَقَ صَبِيًّا يَرِثُ طَرْبوشَكَ مِنْ بَعْدِكَ. أَنا أُحِبُّكَ أَكْثَرَ مِمّا يُحِبُّ أَيُّ وَلَدٍ أَباهُ. وَأُريدُ أَنْ أَرِثَ أَنا طَرْبوشَكَ !»

عَجِبَ الْوالي الْعَجوزُ نَصْرُ الدّينِ مِنْ طَلَبِ ابْنَتِهِ ، وَقالَ لَها : «يا ابْنَتي ، اَلطَّرابيشُ لِلرِّجالِ ! فَماذا تَفْعَلُ فَتاةٌ رَقيقَةٌ مِثْلُكِ بِطَرْبوشِ أَبيها ؟»

أَحْزَنَ ذٰلِكَ خِتام وَأَخَذَتْ تَبْكي. وَصارَتْ بَعْدَ ذٰلِكَ تَبْكي كُلَّما خَلَتْ إِلى نَفْسِها. وَقَدْ أَشْفَقَ أَبوها الشَّيْخُ عَلَيْها ، فَسَمَحَ لَها أَخيرًا أَنْ تَرِثَ طَرْبوشَهُ.





اِحْتَفَظَتْ خِتام بَعْدَ وَفاةِ أَبيها بِالطَّرْبوشِ . وَكانَتْ بَيْنَ حينٍ وَحينٍ تَقِفُ أَمامَ الْمِرْآةِ وَتَضَعُهُ عَلى رَأْسِها . وَكانَتْ تُحِسُّ عِنْدَ ذاكَ أَنَّ قُوَّةً خَفِيَّةً قَدْ تَسَرَّبَتْ إِلى جَسَدِها ، وَأَنَّ لَها قَلْبًا لا يَعْرِفُ الْخَوْفَ .

فَإِذا خَلَعَتِ الطَّرْبوشَ زايَلَتْها تِلْكَ الْقُوَّةُ الْخَفِيَّةُ في الْحالِ ، وَعادَتْ إِلى خَجَلِها وَوَجَلِها .

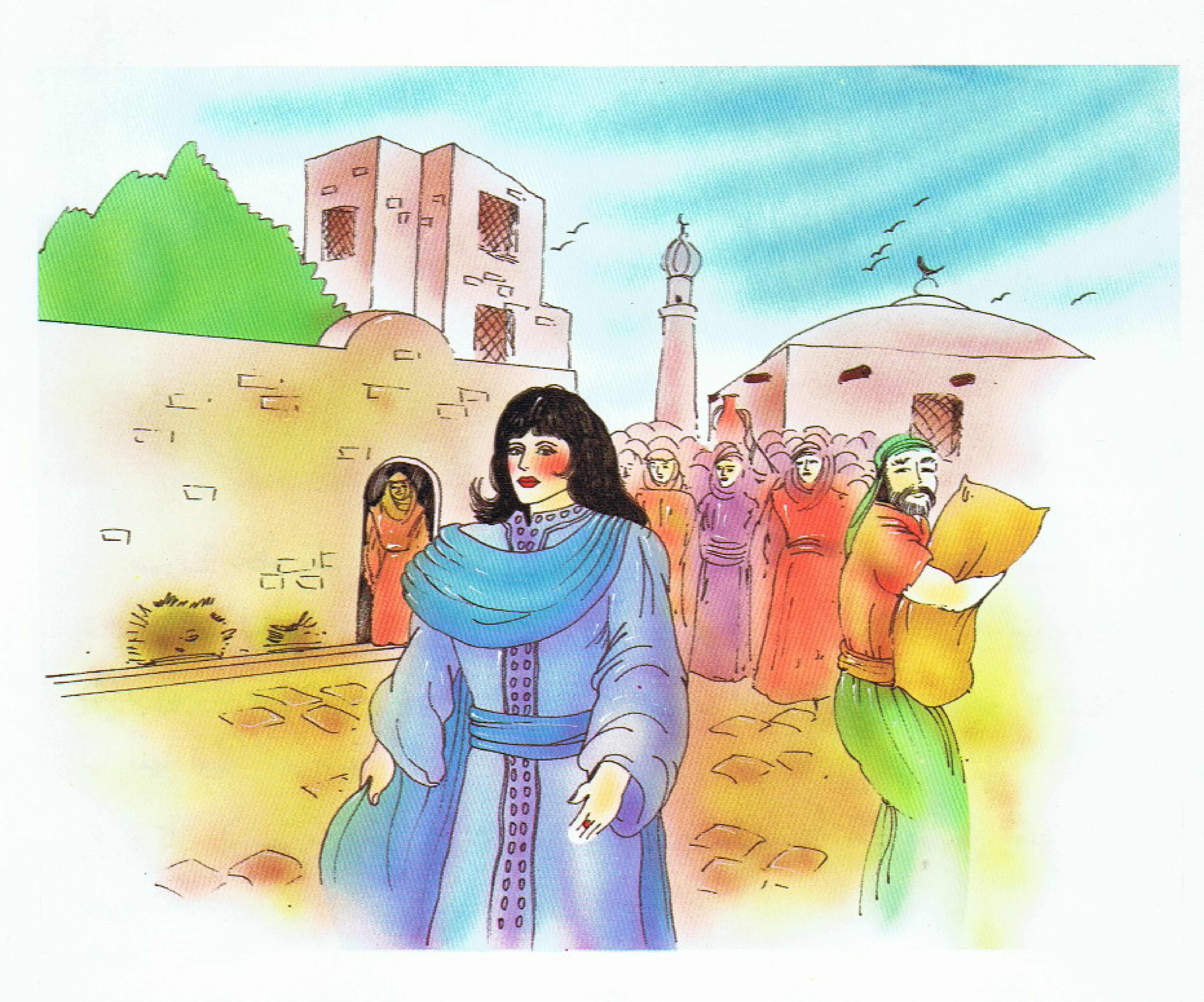


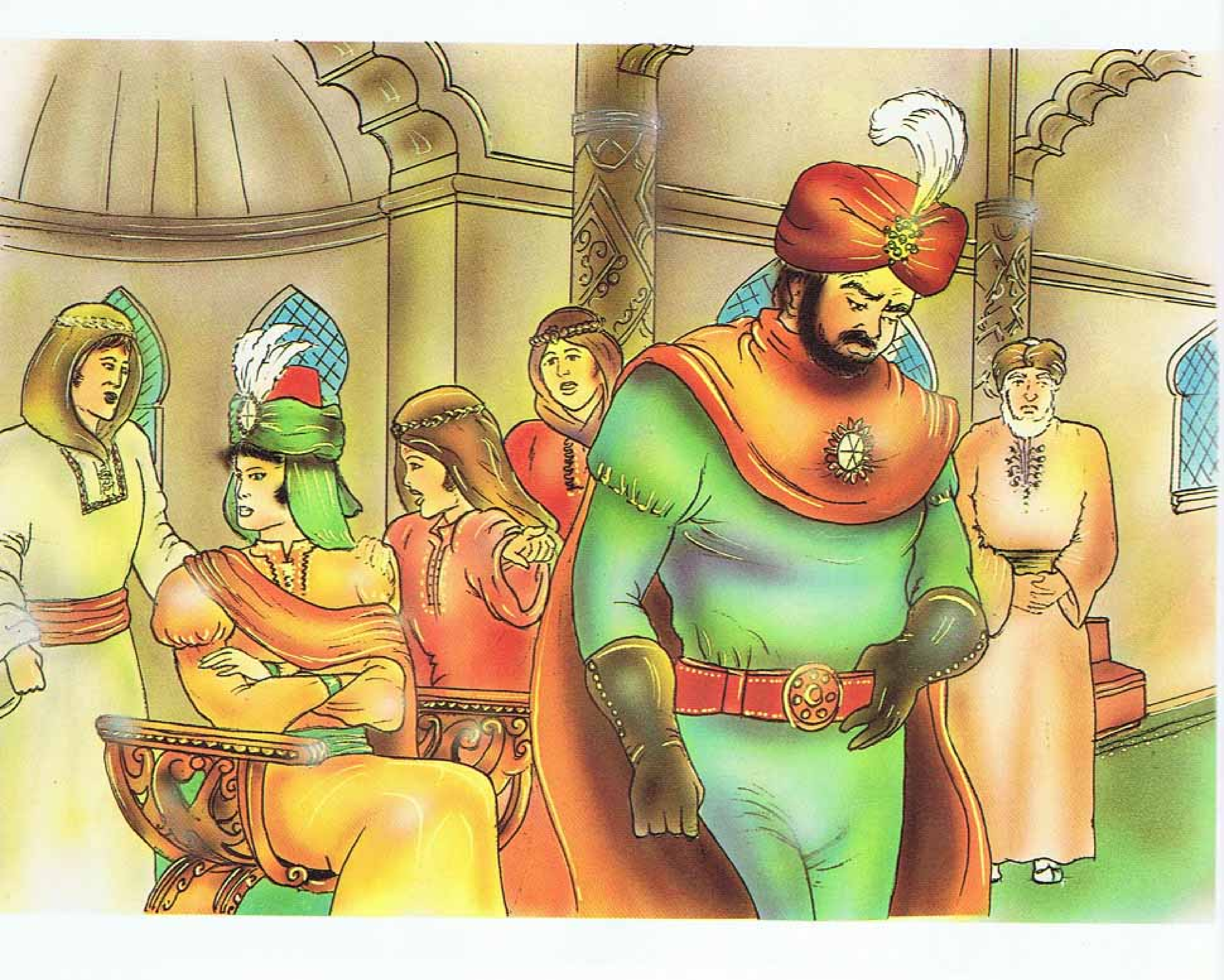
صارَتْ خِتام بَعْدَ ذٰلِكَ تَلْجَأُ إلى الطَّرْبوشِ فَتَضَعُهُ على رَأْسِها كُلَّما أَحَسَّتْ أَنَّها خائِفَةٌ. وَقَدْ لَجَأَتْ إلى الطَّرْبوشِ أَوَّلَ مَرَّةٍ يَوْمَ ماتَ أَبوها. فَقَدْ كانَتْ أَحَسَّتْ بِضَعْفٍ شَديدٍ وَبَكَتْ طَويلاً. ثُمَّ إنَّها عِنْدَما وَضَعَتِ الطَّرْبوشَ فَوْقَ رَأْسِها تَوَقَّفَتْ عَنِ الْبُكاءِ وَبَدا لَها أَنَّها قَوِيَّةٌ كَالرِّجالِ.

وَكانَ النّاسُ مِنْ حَوْلِها يُلاطِفونَها دائِمًا، وَيَقولونَ إنَّ حُبَّها لِأَبيها جَعَلَها تَتَعَلَّقُ بِطَرْبوشِهِ.

سُرْعانَ ما شَبَّتْ خِتام ، فَإِذا هِيَ صَبِيَّةٌ رَشيقَةٌ فاتِنَةٌ . كانَ شَعْرُها الأَسْوَدُ أَشْبَهَ بِشَلّالٍ يَسْقُطُ في الظَّلامِ . وَكانَتْ بَشَرَتُها السَّمْراءُ الْمُتَوَرِّدَةُ أَشْبَهَ بِضَوْءِ الْقَمَرِ في لَيْلَةٍ يَغْشاها الضَّبابُ . وَكانَتْ عَيْناها الْخَضْراوانِ أَشْبَهَ بِنَجْمَتَيْنِ تَلْمَعانِ في الْبَحْرِ .

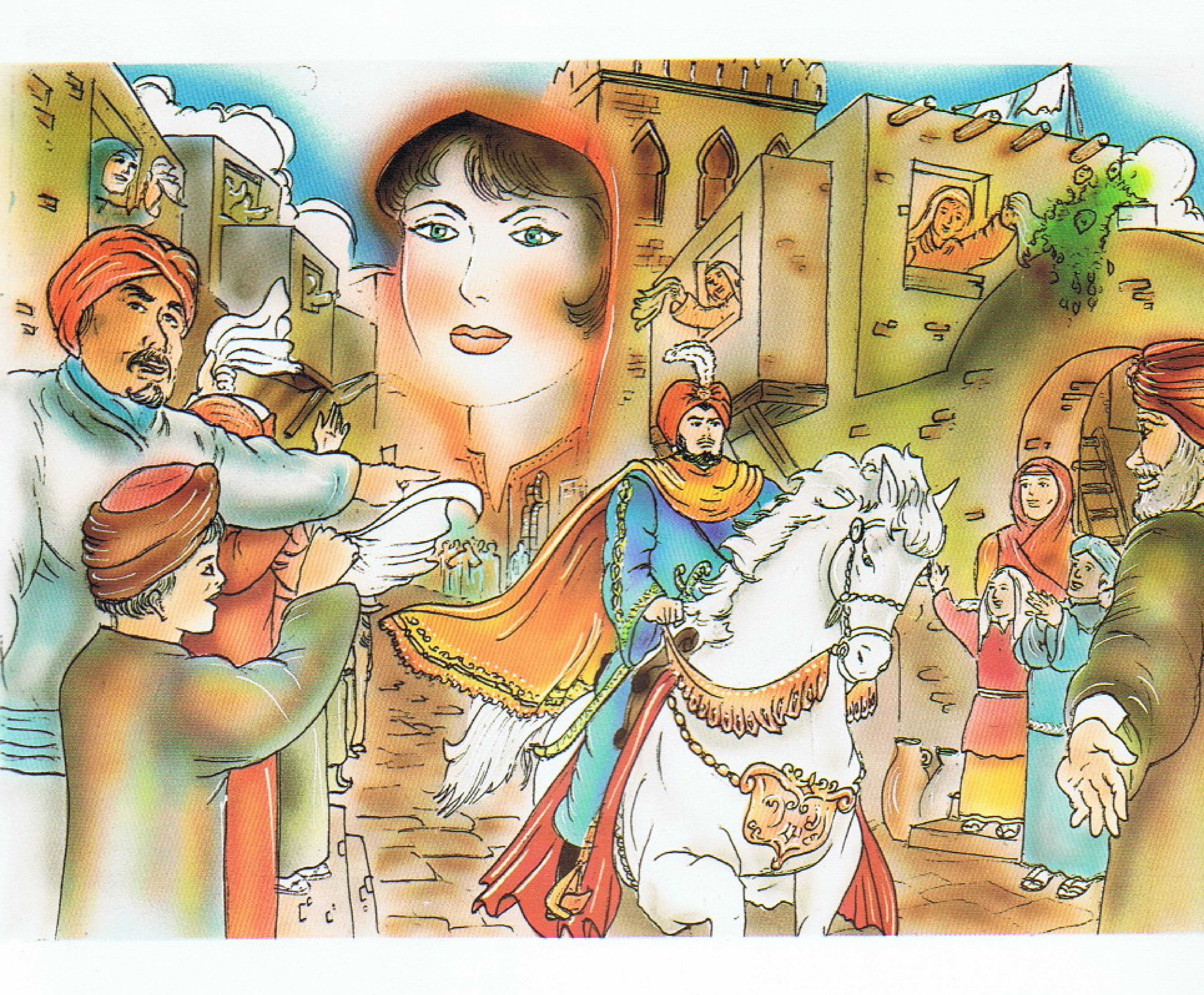
وَبَدَتْ خِتام في جَمالِها وَرِقَّتِها وَذَكائِها أَميرَةً بَيْنَ الصَّبايا . فَإِذا مَشَتْ أَوْ تَوَقَّفَتْ ، وَإِذا تَكَلَّمَتْ أَوْ سَكَتَتْ ، أَشارَ النّاسُ إِلَيْها ، وَقالوا : «يا اَللهُ ، ما أَجْمَلَها !»





أَقْبَلَ الْأُمَراءُ وَأَبْناءُ الْأَشْرافِ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ يَطْلُبونَ يَدَها . وَلَمْ تكُنْ خِتام تَرُدُّ أَحَدًا مِنْهُمْ . لٰكِنَّها كانَتْ تَشْتَرِطُ أَنْ تَلْبَسَ في يَوْمِ الزِّفافِ طَرْبوشَ أَبيها ، وَأَنْ تَلْبَسَهُ بَعْدَ ذٰلِكَ في أَيِّ وَقْتٍ تَشاءُ .

كانَ الْأُمَراءُ وَأَبْناءُ الْأَشْرافِ يَعودونَ إلى قُصورِهِمْ يائِسينَ . فَلَمْ يَكُنْ أَيٌّ مِنْهُمْ يَجْرُؤُ عَلى أَنْ يَسْمَحَ لِعَروسِهِ بِأَنْ تَلْبَسَ طَرْبوشًا خَشْيَةَ أَنْ يَسْخَرَ مِنْهُ أَهْلُهُ وَرِفاقُهُ . وَقَدْ حاوَلَتْ أَخَواتُ خِتام أَنْ يُقْنِعْنَها بِالْعُدولِ عَنْ شَرْطِها ، لٰكِنَّها كانَتْ دائِمًا تُصِرُّ عَلَيْهِ .



سَمِعَ الْأَميرُ حَسَن ، وَهُوَ ابْنُ سُلْطانٍ عَظيمٍ ، بِحِكايَةِ خِتام . فَعَجِبَ مِنْ تِلْكَ الْفَتاةِ الْفاتِنَةِ وَشَرْطِها الْغَريبِ . وَعَزَمَ عَلى أَنْ يَذْهَبَ إِلَيْها .

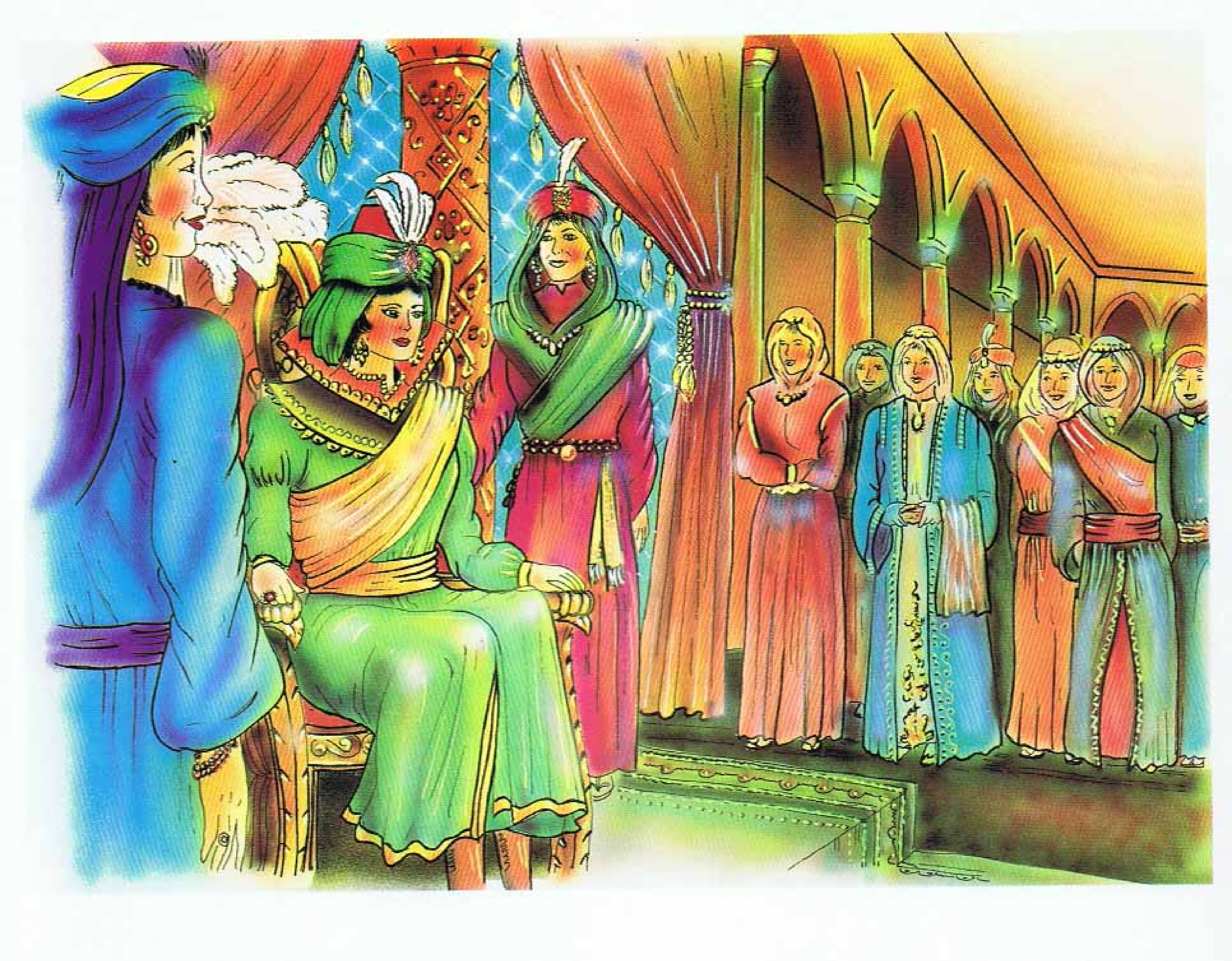
لَبِسَ ثِيابَهُ السُّلْطانِيَّةَ الْفاخِرَةَ ، وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ الْمَنْقوشَ بِالْجَواهِرِ ، وَرَكِبَ فَرَسَهُ الْأَبْيَضَ ، وَتَوَجَّهَ إِلى بَلَدِ خِتام . وَقَدِ اسْتَقْبَلَ النّاسُ الْأَميرَ الشّابَّ وَاصْطَفّوا في الطُّرُقِ يُحَيّونَهُ وَيُرَحِّبونَ بِهِ . وَلَمْ يَكُنِ الْأَميرُ يُفَكِّرُ في مَنْ حَوْلَهُ ، بَلْ بِخِتامَ الَّتي كانَ واثِقًا أَنَّها حينَ تَراهُ في هَيْئَتِهِ السُّلْطانِيَّةِ سَتَعْدِلُ عَنْ شَرْطِها .



اِسْتَقْبَلَتْ خِتامُ الْأَميرَ ، وَمِنْ حَوْلِها أَخَواتُها الثَّماني ، وَأَحَبَّتْهُ حُبًّا شَديدًا . وَأَحَبَّها هُوَ أَيْضًا وَتَعَلَّقَ بِها ، وَقالَ في نَفْسِهِ : «سَأَتَزَوَّجُها ، بِطَرْبوشٍ أَوْ بِغَيْرِ طَرْبوشٍ !»

وَهٰكَذا عادَ إِلى أَبيهِ السُّلْطانِ وَرَجاهُ أَنْ يُوافِقَ عَلى ذٰلِكَ الزَّواجِ . فَعَجِبَ السُّلْطانُ ، وَقالَ : «وَلٰكِنْ ، يا بُنَيَّ ، سَيَقولُ النّاسُ : عَروسُ الْأَميرِ أُمُّ طَرْبوشٍ !»

قالَ حَسَن : «مَوْلايَ ، أَبْناءُ السَّلاطينِ لا يَهابونَ كَلامَ النّاسِ !»



أُقيمَ احْتِفالٌ سُلْطانِيٌّ عَظيمٌ. وَجَلَسَتْ خِتام على كُرْسِيٍّ عالٍ بَيْنَ وَصيفاتِها وَصاحِباتِها. وَبَهرَتِ النّاسَ كُلَّهُمْ بِجَمالِها. لٰكِنَّ النّاسَ كانوا يَنْظُرونَ إلى الطَّرْبوشِ فَوْقَ رَأْسِها وَيَبْتَسِمونَ.

عاشَ الْأَميرُ وَزَوْجَتُهُ بَعْدَ ذٰلِكَ عيشَةً هانِئَةً. كانَ هُوَ يَزْدادُ تَعَلُّقًا بِها يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، وَكانَتْ هِيَ تَزْدادُ تَعَلُّقًا بِهِ. لٰكِنْ كانَ الطَّرْبوشُ دائِمًا حَسْرَةً في قَلْبِ الْأَميرِ.

فَقَدْ كانَتْ خِتام تَضعُ عَلى رَأْسِها الطَّرْبوشَ كُلَّما اسْتَقْبَلَتْ في الْقَصْرِ ضُيوفًا ، أَوْ لَبَّتْ دَعْوَةً . وَقَدْ أَخَذَ أَهْلُ الْبَلاطِ بَعْدَ حينٍ يَتَغامَزونَ وَيَتَهامَسونَ . وَكانَ الْأَميرُ حَسَن يَرى ذٰلِكَ كُلَّهُ فَيَحْزَنُ وَيَغْضَبُ .

وَذاتَ يَوْمٍ بَلَغَ بِهِ الْغَضَبُ مَبْلَغًا عَظيمًا ، فَأَخْرَجَ الطَّرْبوشَ مِنْ خِزانَتِهِ ، وَضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ ضَرْبَةً شَطَرَتْهُ شَطْرَيْنِ .



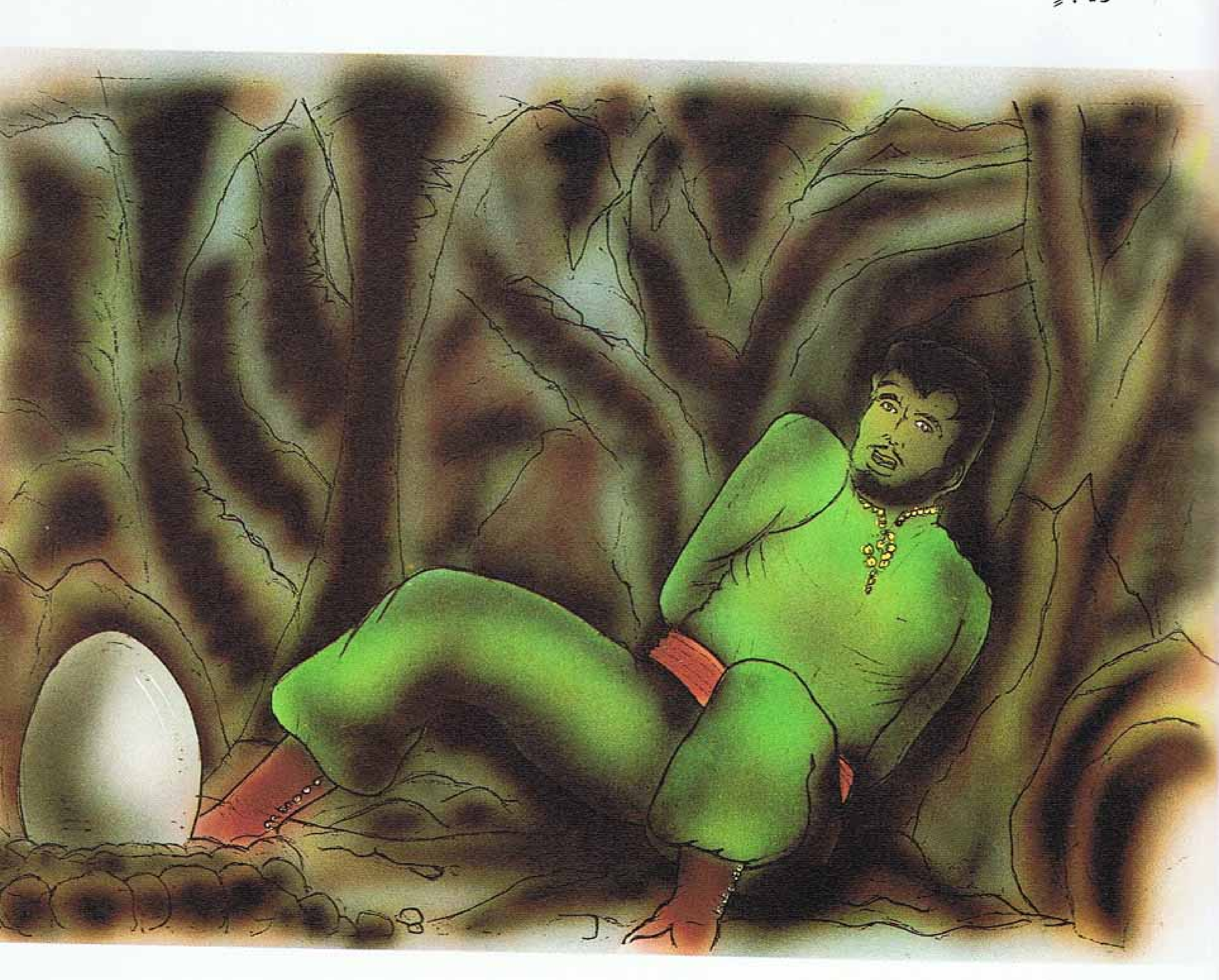


نَدِمَ الْأَميرُ حَسَن عَلى ما فَعَلَ. فَقَدْ كانَ يُحِبُّ زَوْجَتَهُ حُبًّا بالِغًا، وَكانَ يَعْلَمُ أَنَّها سَتَحْزَنُ عِنْدَما ترى ما فَعَلَ بِطَرْبوشِ أَبيها.

رَكِبَ الْأَميرُ فَرَسَهُ الْأَبْيَض، وَجَرى بِهِ في الْبَرِّيَّةِ يُسابِقُ الرّيحَ. وَبَيْنَما هُوَ مُنْطَلِقٌ بَيْنَ الصُّخورِ وَالْأَشْجارِ رَأى رَجُلًا مُنْبَطِحًا على الْأَرْضِ، فَتَوَقَّفَ وَتَرَجَّلَ عَنْ فَرَسِهِ وَاقْتَرَبَ مِنْهُ يُريدُ أَنْ يُساعِدَهُ.

إِنْحَنى حَسَن فَوْقَ الرَّجُلِ الْمُنْبَطِحِ ، فَهَبَّ الرَّجُلُ واقِفًا وَأَمْسَكَ بِالْأَميرِ. وَخَرَجَ مِنْ وَراءِ الْأَشْجارِ ، في اللَّحْظَةِ نَفْسِها ، عَدَدٌ مِنَ اللُّصوصِ. فَأَحاطوا بِالْأَميرِ ، وَانْهالوا عَلَيْهِ ضَرْبًا وَرَفْسًا حَتّى وَقَعَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ. ثُمَّ قَيَّدوهُ وَرَمَوْهُ في كَهْفٍ، وَأَخَذوا سَيْفَهُ وَفَرَسَهُ وَكُلَّ ما مَعَهُ ، وَفَرّوا.

عِنْدَما أَفاقَ حَسَن مِنْ إغْمائِهِ ، حاوَلَ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ قَيْدِهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ. وَرَأى في الْكَهْفِ بَيْضَةَ ثُعْبانٍ كَبيرَةً ، فَأَدْرَكَ أَنَّهُ حُبِسَ في كَهْفِ ثُعْبانٍ وَأَنَّ الثُّعْبانَ آتٍ عَمّا قَريبٍ.





أَصْلَحَتْ خِتامُ الطَّرْبوشَ باكِيَةً. ثُمَّ ثَبَّتَتْهُ فَوْقَ رَأْسِها، وَخَرَجَتْ تَبْحَثُ عَنْ زَوْجِها. فَقَدْ كانَتْ تَعْلَمُ أَنَّهُ تَرَكَ الْقَصْرَ مُضْطَرِبًا، وَخَشِيَتْ أَنْ يُصيبَهُ في الْبَرِّيَّةِ مَكْروهٌ.

كانَتْ تَعْلَمُ الْجانِبَ مِنَ الْبَرِّيَّةِ الَّذي يَتَرَدَّدُ عَلَيْهِ زَوْجُها. وَفي ذٰلِكَ الْمَكانِ رَأَتْ قِطْعَةً مِنْ عَباءَتِهِ الْحَريرِيَّةِ عالِقَةً في غُصْنِ شَجَرَةٍ. فَتَرَجَّلَتْ عَنْ جَوادِها وَراحَتْ تَبْحَثُ بَيْنَ الصُّخورِ وَوَراءَ الْأَشْجارِ. فَجْأَةً رَأَتْ ثُعْبانًا ضَخْمًا يَرْفَعُ رَأْسَهُ عالِيًا قَريبًا مِنْ أَحَدِ الْكُهوفِ، وَيَنْظُرُ إِلَيْها مِنْ بَعيدٍ بِعَيْنَيْنِ نارِيَّتَيْنِ.

صاحَتْ خِتام تُنادي زَوْجَها ، فَجاءَها صَوْتُهُ مُضْطَرِبًا مُتَقَطِّعًا . تَلَمَّسَتِ الطَّرْبوشَ فَوْقَ رَأْسِها وَتَهَيَّأَتْ لِدُخولِ الْكَهْفِ. لٰكِنَّها تَوَقَّفَتْ فَجْأَةً . فَقَدْ تَذَكَّرَتْ حِكاياتٍ مُخيفَةً كانَتْ تَسْمَعُها عَنْ ثُعْبانٍ ناشِرٍ ، يَقْذِفُ سُمَّهُ إلى عَيْنَيِ الضَّحِيَّةِ فَيَقْتُلُها مِنْ بَعيدٍ .

أَمْسَكَتِ الْقِطْعَةَ الْحَريرِيَّةَ الشَّفّافَةَ الَّتي وَجَدَتْها مِنْ عَباءَةِ زَوْجِها وَلَفَّتْ بِها وَجْهَها . ثُمَّ أَخَذَتْ تَقْتَرِبُ مِنَ الثُّعْبانِ بِحَذَرٍ .



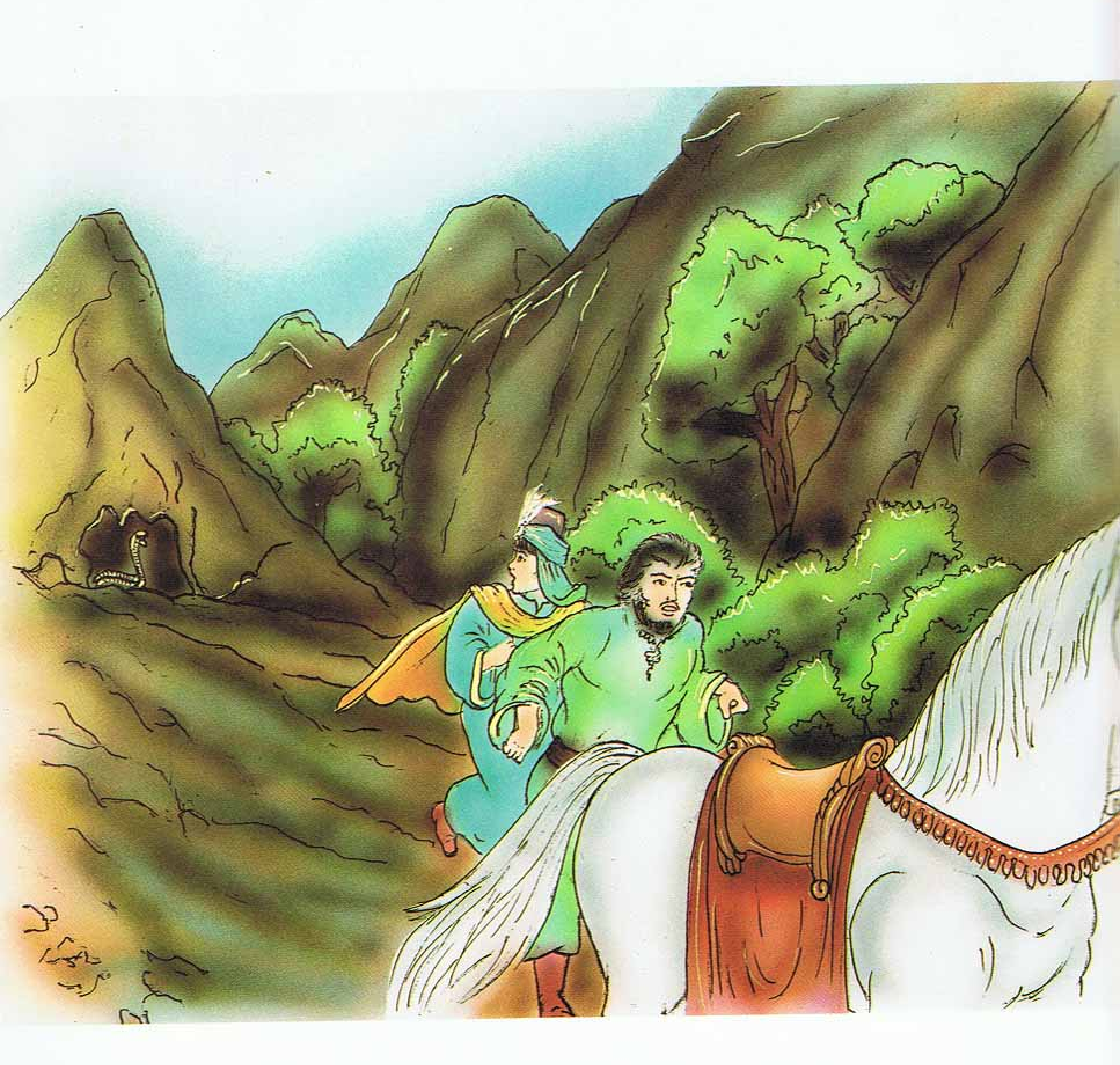


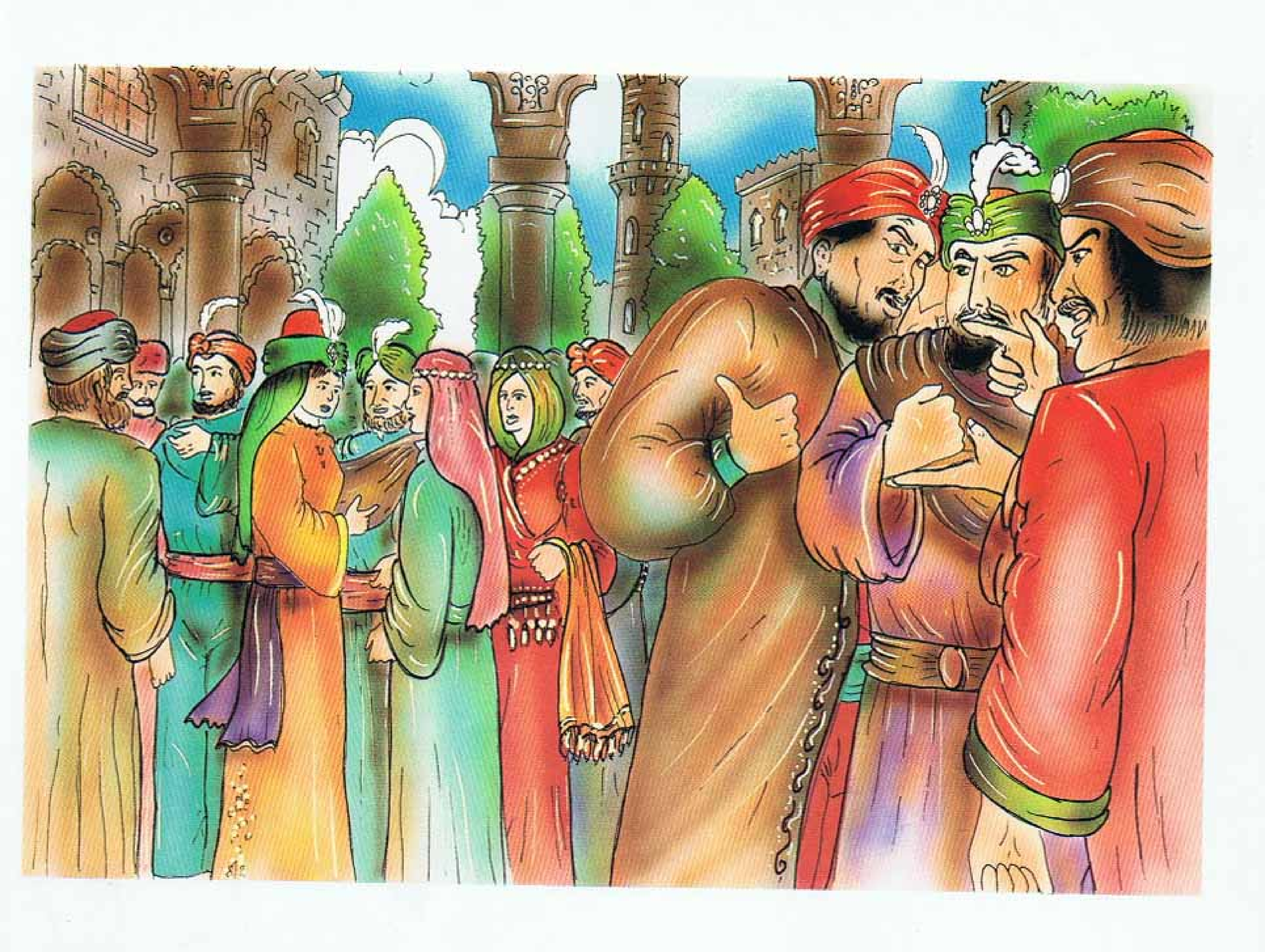
تَحفَّزَ الثُّعْبانُ وَقذَفَ سُمَّهُ إلى عَيْنَيْ خِتام. وَعِنْدَما رَآها لا تَزالُ واقِفَةً أَمامَهُ بَدا كَأَنَّما أَصابَهُ غَضَبٌ شَديدٌ، وَزَحَفَ نَحْوَها.

وَكانَتْ خِتام كُلَّما اقْتَرَبَ مِنْها الثُّعْبانُ تَراجَعَتْ إلى الْوَراءِ خُطْوَةً. وَبَعْدَ حينٍ كانَ الثُّعْبانُ قَدْ بَعُدَ جِدًّا عَنْ بابِ الْكَهْفِ. فَاسْتَدارَتْ وَالْتَفَّتْ حَوْلَ بَعْضِ الأَشْجارِ وَالصُّخورِ وَجَرَتْ إلى الْكَهْفِ.

وَجَدَتْ زَوْجَها الْأَميرَ مَرْمِيًّا عَلى الْأَرْضِ ، وَقَدْ رُبِطَتْ يَداهُ وَرِجْلاهُ بِحَبْلٍ . فَقَطَعَتِ الْحَبْلَ بِسِكّينِها .

كانَ الثُّعْبانُ في هٰذِهِ الْأَثْناءِ يَقْتَرِبُ مِنْ بابِ الْكَهْفِ ، لٰكِنَّ الزَّوْجَيْنِ تَمَكَّنا مِنَ الْإِفْلاتِ مِنْهُ ، وَجَرَيا إلى جَوادِ خِتام ، فَرَكِبا كِلاهُما عَلَيْهِ وَانْطَلَقا بِهِ إلى الْقَصْرِ .





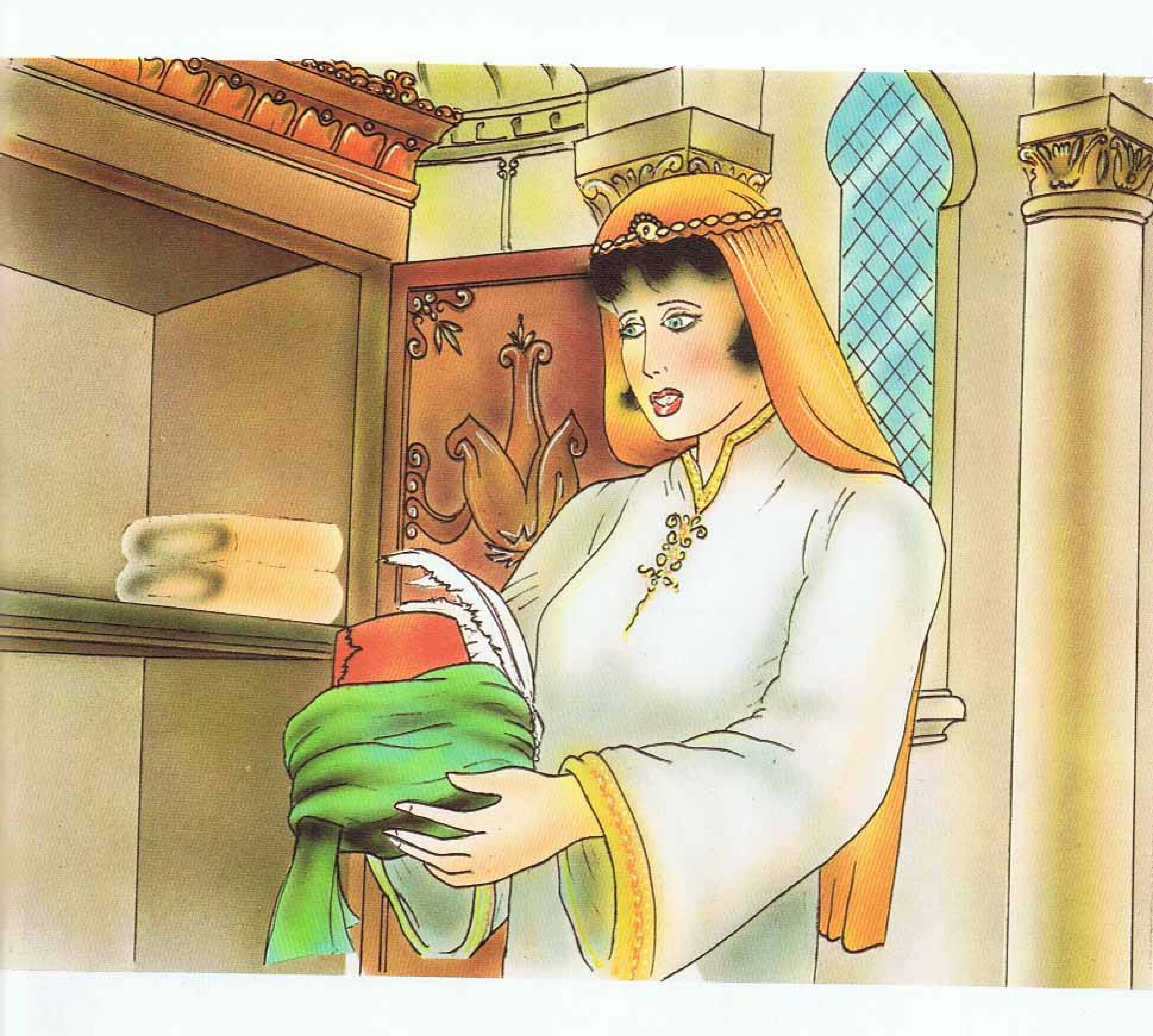
ذاعَ في الدِّيارِ وَالْأَمْصارِ أَنَّ في طَرْبوشِ خِتام قُوَّةً سِحْرِيَّةً، وَأَنَّ مَنْ يَضَعُ ذٰلِكَ الطَّرْبوشَ عَلى رَأْسِهِ يُصْبِحُ شُجاعًا. وَلَمْ يَعُدِ النّاسُ إذا رَأَوْا خِتام يَتَهامَسونَ وَيَتَغامَزون ساخِرينَ، بَلْ صاروا يَنْظُرونَ إِلَيْها مُعْجَبينَ. وَأَحَسَّ الْأَميرُ حَسَن بِسَعادَةٍ عَظيمَةٍ، وَصارَ يَمْشي إلى جانِبِ زَوْجَتِهِ بِرَأْسٍ عالٍ وَصَدْرٍ مَنْفوخٍ.

غَيْرَ أَنَّ سِرَّ ذٰلِكَ الطَّرْبوشِ جَعَلَ الْكَثيرينَ مِنَ الْقُوّادِ وَالْحُكّامِ وَالْقُضاةِ وَالْعِظامِ يَطْمَعونَ بِالْحُصولِ عَلَيْهِ لِامْتِلاكِ الشَّجاعَةِ.

لٰكِنَّ لِصًّا خَبيثًا سَبَقَ النّاسَ كُلَّهُمْ في الْوُصولِ إلى الطَّرْبوشِ. فَقَدْ تَسَلَّلَ ذاتَ لَيْلَةٍ إلى الْقَصْرِ، وَتَسَلَّقَ جِدارَهُ بِمَهارَةٍ، وَسُرْعانَ ما كانَ قَدْ غافَلَ الْحُرّاسَ، وَدَخَلَ إلى الْقاعَةِ الَّتي تَتَصَدَّرُها خِزانَةُ الطَّرْبوشِ.

فَتَحَ الْخِزانَةَ بِيَدَيْنِ مُرْتَجِفَتَيْنِ، وَأَمْسَكَ الطَّرْبوشَ مُتَهَيِّبًا. ثُمَّ تَسَلَّلَ يَخْرُجُ مِنَ الْقَصْرِ. وَكانَ مُضْطَرِبًا، وَانْزَلَقَتْ قَدَمُهُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ، وَكادَ أَنْ يَقَعَ في أَيْدي الْحُرّاسِ.



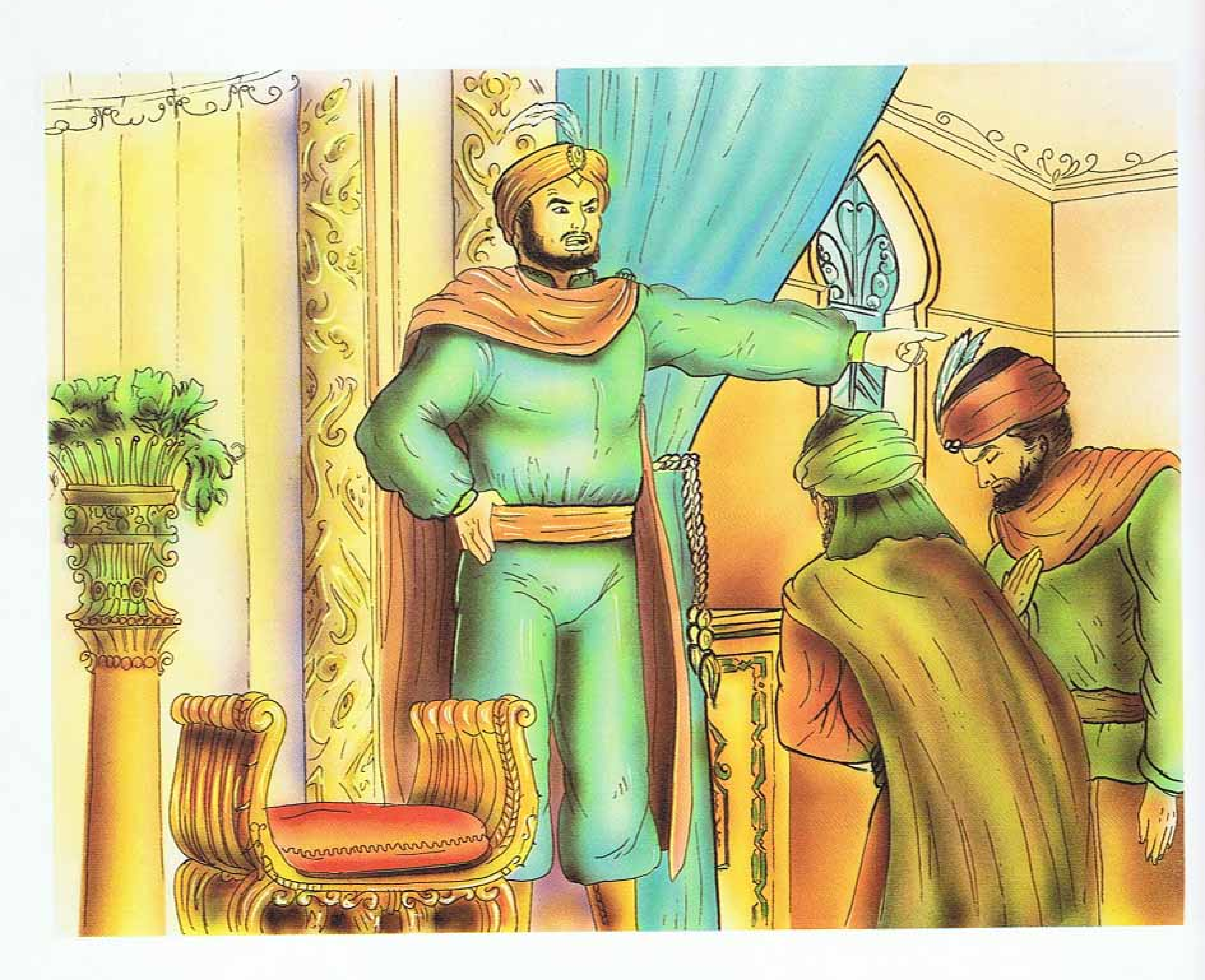


كانَ الْأَميرُ حَسَن أَوَّلَ مَنْ عرَفَ بِاخْتِفاءِ الطَّرْبوشِ. فَأَخْفى الْأَمْرَ عَنْ زَوْجَتِهِ. وَأَسْرَعَ يَطْلُبُ طَرْبوشًا مُماثِلًا. ثُمَّ شَطَرَهُ بِسَيْفِهِ شَطْرَيْنِ، وَأَمَرَ بِإِصْلاحِهِ لِيَكونَ كَالطَّرْبوشِ الْمَسْروقِ تَمامًا.

في ذٰلِكَ الْيَوْمِ مَرَّتْ خِتام أَمامَ خِزانَةِ الطَّرْبوشِ، فَأَحَسَّتْ إِحْساسًا غَريبًا. أَمْسَكَتِ الطَّرْبوشَ وَوَضَعَتْهُ فَوْقَ رَأْسِها فَأَدْرَكَتْ في الْحالِ أَنَّ ذٰلِكَ لَيْسَ طَرْبوشَ أَبيها.

كانَتْ خِتام خائِفَةً مُضْطَرِبَةً ، لا تَقْوى عَلى كَتْمِ دُموعِها . أَسْرَعَ إِلَيْها حَسَن يُطَمْئِنُها وَيُقْسِمُ لَها إِنَّهُ سَيَجِدُ طَرْبوشَها الْحَقيقِيَّ حَتّى لَوْ أَمْضى حَياتَهُ كُلَّها يَبْحَثُ عَنْهُ.

قامَ الْأَميرُ حَسَن يَسْتَدْعي قُوّادَهُ وَرِجالَهُ وَيَأْمُرُهُمْ أَنْ يَبْحَثوا عَنْ طَرْبوشِ خِتام ، وَأَرادَ أَنْ يُشَجِّعَ النّاسَ كُلَّهُمْ عَلى التَّفْتيشِ عَنْ ذٰلِكَ الطَّرْبوشِ ، فَخَصَّصَ جائِزَةً عَظيمَةً لِمَنْ يُساعِدُ في الْعُثورِ عَلَيْهِ.





كانَ السّارِقُ سَعيدًا جِدًّا بِطَرْبوشِ الشَّجاعَةِ. فَقَدْ كانَ ذٰلِكَ أَثْمَنَ ما سَرَقَهُ طَوالَ حَياتِهِ. فَإِنَّهُ كَثيرًا ما كانَ يَتَمَنّى أَنْ يَدْخُلَ بُيوتَ النّاسِ وَيَسْطُوَ على أَمْوالِهِمْ دونَ خَوْفٍ. وَكانَ ذٰلِكَ الْخَوْفُ يُنَغِّصُ عَلَيْهِ عيشَتَهُ.

وَضَعَ اللِّصُّ عَلى رَأْسِهِ الطَّرْبوشَ، فَأَحَسَّ فِعْلًا بِشَجاعَةٍ بالِغَةٍ. وَبَدا لَهُ أَنَّهُ قادِرٌ الْآنَ عَلى اقْتِحامِ الْبُيوتِ الْمَحْروسَةِ وَالْقُصورِ الْحَصينَةِ. وَوَضَعَ خُطَّةً لِلتَّسَلُّلِ لَيْلًا إلى قَصْرٍ مِنْ تِلْكَ الْقُصورِ.

عِنْدَما هَبَطَ الظَّلامُ مَضى اللِّصُّ إلى هَدَفِهِ. لٰكِنَّهُ عِنْدَ قاعِدَةِ السّورِ وَقَفَ لَحْظَةً يُفَكِّرُ. ثُمَّ بَدا فَجْأَةً مُتَرَدِّدًا. قالَ في نَفْسِهِ:

«إذا أَنا تَمَلَّكَتْني الشَّجاعَةُ فَقَدْ أُصْبِحُ مَيّالًا إلى الْمُخاطَرَةِ وَالتَّهَوُّرِ. وَقَدْ يُوْقِعُني ذٰلِكَ في التَّهْلُكَةِ. اَللِّصُّ لا يَحْتاجُ إلى الشَّجاعَةِ. بَلْ هُوَ في الْواقِعِ يَحْتاجُ إلى الْخَوْفِ. يَحْتاجُ أَنْ يَكونَ جَبانًا!» وَأَسْرَعَ بَعْدَ ذٰلِكَ يَبْتَعِدُ عَنِ الْقَصْرِ راضِيًا بِحالِهِ.

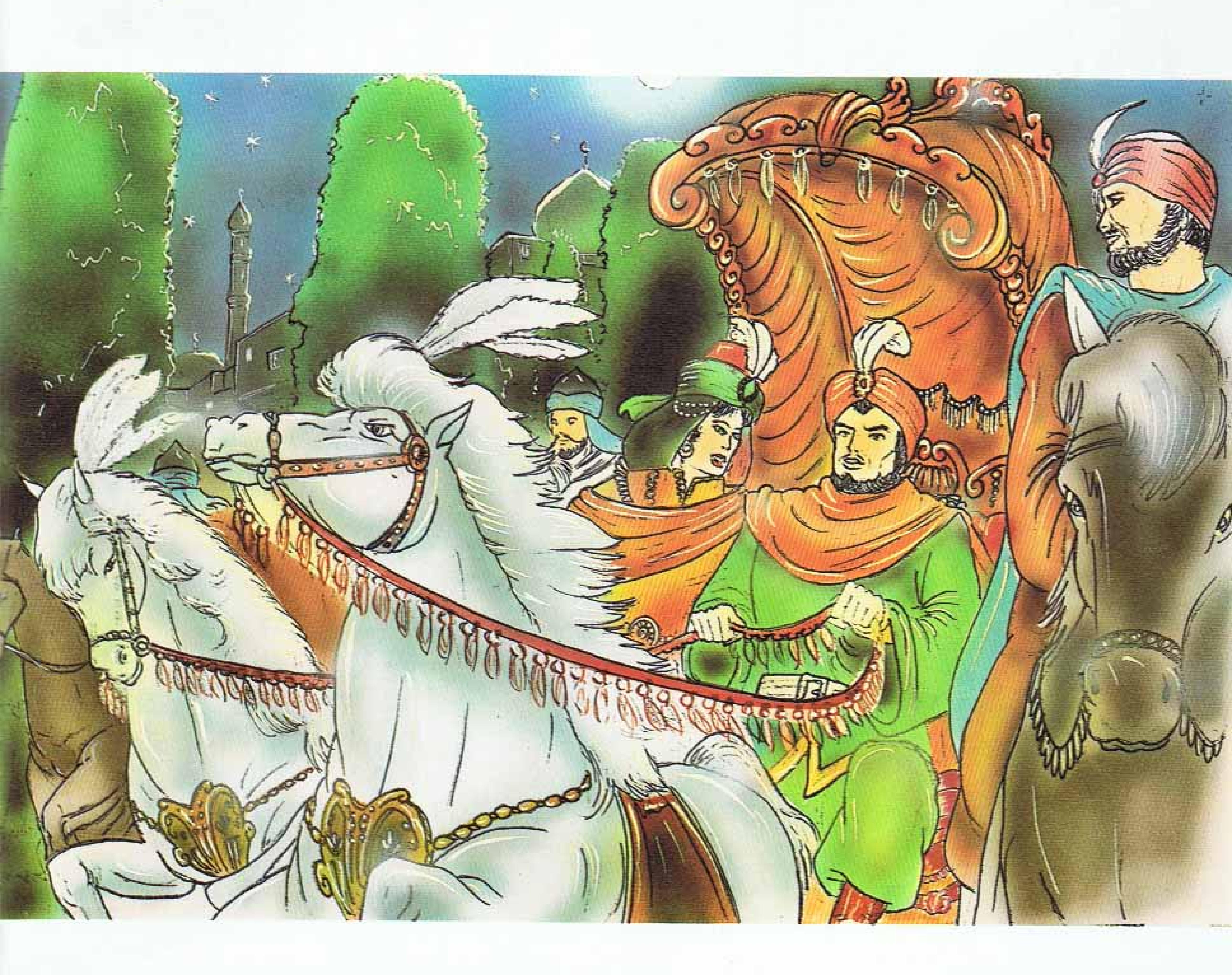
في تِلْكَ اللَّيْلَةِ تَسَلَّلَ اللِّصُّ إلى قَصْرِ الْأَميرِ حَسَن وَرَدَّ الطَّرْبوشَ إلى خِزانَتِهِ، وَعادَ إلى مَنْزِلِهِ مُطْمَئِنًّا.



فَرِحَتْ خِتام فَرَحًا عَظيمًا بِعَوْدَةِ الطَّرْبوشِ إلَيْها . وَعِنْدَما رَفَعَتْهُ مِنْ خِزانَتِهِ وَجَدَتْ تَحْتَهُ وَرَقَةً كُتِبَ عَلَيْها : «اَلْخَوْفُ لِلْجُبَناءِ دَواءٌ !»

اِنْتَشَرَ بَيْنَ النّاسِ أَنَّ طَرْبوشَ الشَّجاعَةِ عادَ إلى صاحِبَتِهِ ، فَابْتَهَجوا وَرَقَصوا . وَأَقامَ أَحَدُ الْأُمَراءِ في قَصْرِهِ الْمُشْرِفِ عَلى بَعْضِ الْوُدْيانِ احْتِفالًا دَعا إِلَيْهِ النُّبَلاءَ وَالْحُكّامَ وَالْأَعْيانَ .

وَصَلَ الْأَميرُ حَسَن وَزَوْجَتُهُ خِتام إلى الْحَفْلِ ، وَقَدْ لَبِسا أَفْخَرَ ثِيابِهِما ، وَبَدَوَا في أَبْهى حُلَّةٍ . وَكانَتْ خِتام ، كَعادَتِها ، تَضَعُ طَرْبوشَها فَوْقَ رَأْسِها .





وَقَفَتْ خِتام في بابِ الْقاعَةِ الْكُبْرى ذاهِلَةً. فَقَدْ رَأَتْ أَنَّ السَّيِّداتِ الْمَدْعُوّاتِ كُلَّهُنَّ يَضَعْنَ فَوْقَ رُؤوسِهِنَّ طَرابيشَ. بَدَتْ أَوَّلَ الْأَمْرِ حائِرَةً غاضِبَةً. ثُمَّ أَدْرَكَتْ أَنَّ أُولٰئِكَ السَّيِّداتِ لَبِسْنَ الطَّرابيشَ تَكْريمًا لَها. وَبَدَوْنَ جَميعُهُنَّ بِطَرابيشِهِنَّ الْمُزَيَّنَةِ الْمُوَشّاةِ بِالْجَواهِرِ جَميلاتٍ أَنيقاتٍ، يَفْتَخِرْنَ بِها وَيَتَباهَيْنَ وَيَخْتَلْنَ.

أَحَسَّتْ خِتام في تِلْكَ اللَّيْلَةِ بِسَعادَةٍ بالِغَةٍ. لٰكِنْ حَدَثَ أَنْ زَلِقَتْ قَدَمُها فَوَقَعَ الطَّرْبوشُ عَنْ رَأْسِها. ثُمَّ وَقَعَ بَعْدَ ذٰلِكَ مَرَّةً أُخْرى فَتَمَلَّكَتْها الْهَواجِسُ وَأَحَسَّتْ بِقَلَقٍ شَديدٍ.

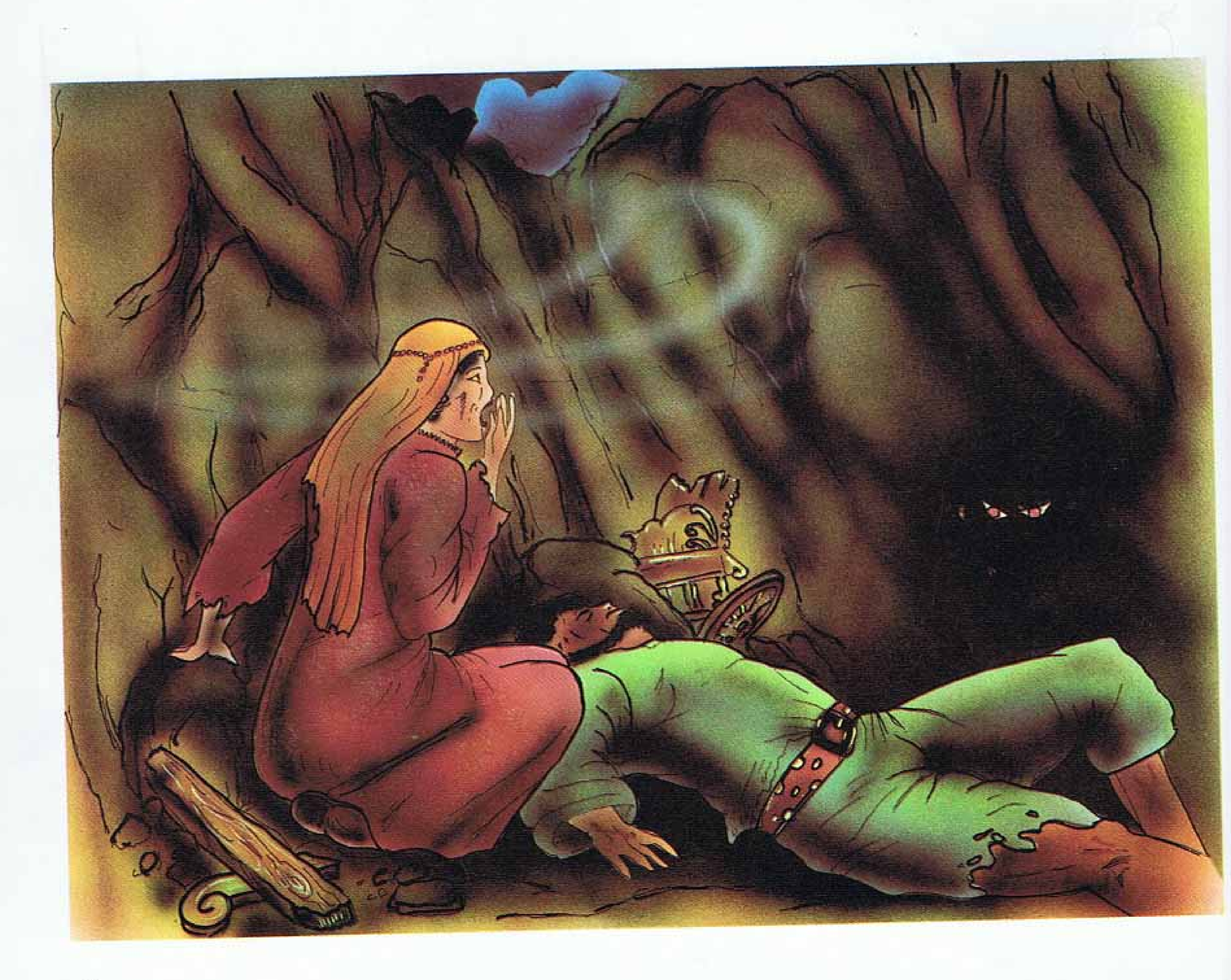


فِي طَرِيقِ الْعَوْدَةِ رَجَتْ خِتام زَوْجَها الْأَميرَ أَنْ يَقودَ عَرَبَتَهُ بِحَذَرٍ. وَبَيْنَما كانَتِ الْعَرَبَةُ تَمُرُّ في مَمَرٍّ ضَيِّقٍ الْتَمَعَتِ السَّماءُ فَجْأَةً بِبَرْقٍ ساطِعٍ قَلَبَ اللَّيْلَ نَهارًا، وَانْفَجَرَ الرَّعْدُ بِصَوْتٍ عَظيمٍ.

جَفَلَ الْجَوادانِ فَمالَتِ الْعَرَبَةُ وَانْقَلَبَتْ في وادٍ. وَوَجَدَتْ خِتام نَفْسَها مَرْمِيَّةً بَيْنَ الصُّخورِ، وَإِلى جانِبِها كانَ زَوْجُها حَسَن مُجَرَّحًا وَغائِبًا عَنِ الْوَعْيِ.

أَحَسَّتْ خِتام كَأَنَّها في حُلُم . وَأَخَذَتْ تَتَلَفَّتُ حَوْلَها حائِرَةً. فَجْأَةً لَمَحَتْ في الظَّلامِ عَيْنَيْنِ قَريبَتَيْنِ. وَعَرَفَتْ أَنَّ ضَبْعًا ضَخْمًا يُحَدِّقُ فيها وَفي زَوْجِها الْجَريحِ .

أَسْرَعَتْ دونَ وَعْيٍ تَتَلَمَّسُ رَأْسَها. لٰكِنَّها لَمْ تَجِدِ الطَّرْبوشَ. أَحَسَّتْ عِنْدَئِذٍ بِجَسَدِها يَهْبِطُ ، وَضَعُفَتْ يَداها وَرِجْلاها فَلَمْ تَعُدْ قادِرَةً عَلى الْحَراكِ. وَبَدا لَها أَنَّها وَزَوْجَها مُشْرِفانِ عَلى الْهَلاكِ.





أَخَذَ الضَّبْعُ الضَّخْمُ يَخْطو صَوْبَ خِتام وَحَسَن وَيَهِرُّ وَيُزَمْجِرُ. اِلْتَفَتَتْ خِتام إلى زَوْجِها حَسَن، وَتَمَنَّتْ لَوْ تَفْتَديهِ بِحَياتِها. ثُمَّ فَجْأَةً لاحَ في عَيْنَيْها بَريقٌ. قالَتْ في نَفْسِها:

«اَلْأَسَدُ لا يَلْبَسُ طَرْبوشًا! وَالرِّجالُ الشُّجْعانُ في قَديمِ الزَّمانِ لَمْ يَكونوا يَعْرِفونَ الطَّرابيشَ!» ثُمَّ تَذَكَّرَتِ اللِّصَّ الَّذي أَعادَ الطَّرْبوشَ لِأَنَّهُ خافَ أَنْ يَكونَ شُجاعًا.

أَحَسَّتْ خِتام بِالْقُوَّةِ تَعودُ إلى جَسَدِها. فَأَمْسَكَتْ خَشَبَةً مِنْ حُطامِ الْعَرَبَةِ، وَوَقَفَتْ إلى جانِبِ زَوْجِها تَتَحَدّى الضَّبْعَ الْمُتَقَدِّمَ.

تَراجَعَ الضَّبْعُ عِنْدَئِذٍ، وَوَقَفَ يُراقِبُ مِنْ بَعيدٍ. فَجَمَعَتْ خِتامُ بِضْعَ خَشَباتٍ مِنْ حَوْلِها، وَأَشْعَلَتْ نارًا. وَظَلَّتْ طَوالَ اللَّيْلِ تَحْرُسُ زَوْجَها الْجَريحَ وَتَعْتَني بِهِ.

في الصَّباحِ خَرَجَ نَفَرٌ مِنَ الرِّجالِ يَبْحَثونَ عَنِ الْأَميرِ وَزَوْجَتِهِ، وَوَجَدوهُما في الْوادي. وَرَأَوْا أَنَّ ما فَعَلَتْهُ الزَّوْجَةُ مَثَلٌ آخَرُ عَلى قُوَّةِ الطَّرْبوشِ.





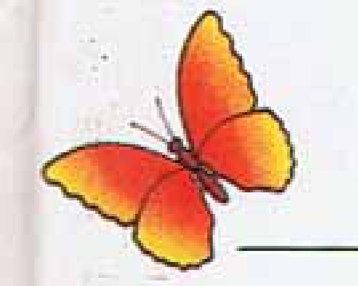
جَلَبَتْ خِتامُ الطَّرْبوشَ وَنَظَّفَتْهُ . ثُمَّ أَمَرَتْ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ أَبيها ، كَما كانَ أَبوها يَرْغَبُ . فَقَدْ أَدْرَكَتْ أَنَّ الشَّجاعَةَ في قَلْبِ الإنْسانِ وَلَيْسَتْ في طَرْبوشِهِ أَوْ شَعْرِهِ أَوْ شارِبَيْهِ .

وَلَمْ تَعُدِ الشَّجاعَةُ عِنْدَها أَلّا نَخافَ أَبَدًا ، بَلْ أَنْ نَخافَ عَلى مَنْ نُحِبُّ أَكْثَرَ مِمّا نَخافُ عَلى أَنْفُسِنا .

كتب الفراشة - حكايات محبوبة

مكتبة لبنان ناشرون ش.م.ل.
ساحة رياض الصّلح ، ص.ب: ٩٤٥-١١
بيروت ، لبنان

الطبعة الأولى ١ ،
طُبع في لبنان
رقم الكتاب 195218 C 01



كتب الفراشة

حِكايات محبُوبَة - ١١ . طَرْبُوشُ العَرُوسِ

في **كُتُبِ الفَراشَةِ** سَلاسِلُ تَتَناوَلُ أَلْوانًا مِنَ المَوْضوعاتِ في العُلومِ المُبَسَّطَةِ والأَدَبِ القَصَصِيِّ والحَضاراتِ. ويُراعى فيها سِنُّ القارِئِ ، مادَّةً وأُسْلوبًا وإِخْراجًا.

كُتُبُ الفَراشَةِ تَمْتازُ بِالتَّشْويقِ الشَّديدِ ، وبِرُسومٍ مُلَوَّنَةٍ بَديعَةٍ ، وبِمَعارِفَ جَديدَةٍ قَريبَةِ المُتَناوَلِ ، وبِلُغَةٍ عَرَبِيَّةٍ صافِيَةٍ وواضِحَةٍ. إِنَّها كُتُبُ مُطالَعَةٍ مُمْتازَةٌ.

مكتبة لبنان

رقم الكتاب 195218 C 01